

﴿وَتَأْتِيهِ لَآكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ٥٧﴾

[الأنبياء: 57]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا رَدَّ إِبْرَاهِيمُ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ بِالْقَوْلِ الْمُنَبِّهِ عَلَى دَلَالَةِ الْعَقْلِ، وَأَقَامَ الْبَرْهَانَ عَلَى إِبْثَابِ الْإِلَهِ الْحَقِّ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا أَتْبَعَهُ بِالْتَّهْدِيدِ عَلَى إِبْطَالِ الْبَاطِلِ وَهَدَمِهِ وَمَحْوِ آثَارِهِ، فَانْتَقَلَ مِنَ الْمُحَاجَّةِ الْقَوْلِيَّةِ إِلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّ إِزَالَهَ الْمُنْكَرِ - حَسَبَمَا أَمَكْنَ - وَاجِبٌ، مَا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهَا الْمَضَرَّةُ، وَذَلِكَ ثَقَّةً بِاللَّهِ، وَمَحَامَاةً عَنْ دِينِهِ، وَجَمْعًا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ⁽¹⁾، وَانْتِقَالًا مِنْ إِبْثَابِ الْإِلَهِ الْحَقِّ إِلَى إِبْطَالِ الْبَاطِلِ⁽²⁾.

انتقال من دلالة
قولية إلى دلالة
فعلية ومن
إثبات الإله
الحق إلى إبطال
الباطل

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَآكِيدَنَّ﴾: (كيد) أصلٌ يدلُّ على معالجةٍ لشيءٍ بِشِدَّةٍ، وَلِذَا يُسَمُّونَ الْمَكْرَ كَيْدًا⁽³⁾، وَالْكَيْدُ: التَّدْبِيرُ الْمَحْكَمُ الشَّدِيدُ وَتَنْفِيزُهُ، وَهُوَ أَيْضًا: الْخُبْتُ، وَالْمُضَارَّةُ⁽⁴⁾، وَالْكَيْدُ مِنَ الْمَكِيدَةِ: وَهُوَ الْاِحْتِيَالُ وَالْاجْتِهَادُ فِيمَا يَقْصِدُهُ الْإِنْسَانُ، وَغَلَبَ فِي الْمَكْرِ، وَقَدْ يَكُونُ مَذْمُومًا وَمَمْدُوحًا، وَإِنْ كَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَذْمُومِ أَكْثَرَ⁽⁵⁾، وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَآكِيدَنَّ﴾: لِأُرِيدَنَّ بِهِمْ سُوءًا، وَأَنْهُمْ لَوْ أَطْبَقُوا عَلَى كَيْدِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ⁽⁶⁾، أَوْ لِأَفْعَلَنَّ بِهَا مَا يَسُوؤُكُمْ بَضْرِبٍ مِنَ الْحِيلَةِ⁽⁷⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 437 / 12، وأبو حيان، البحر المحيط: 444 / 7، والقونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 540 / 12، والساوي، حاشيته على تفسير الجلالين: 112 / 4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 97 / 17.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 437 / 12.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كيد).

(4) الرُّبَيْدِيُّ، تاج العروس، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاق: (كيد).

(5) الزَّائِبُ، المفردات: (كيد)، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 441 / 3.

(6) السَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 442 / 3.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 92 / 5.

(2) ﴿تَوَلَّوْا﴾: وَلَّى الشَّيْءُ وَتَوَلَّى: أَدْبَرَ، وَلَّى عَنْهُ: أَعْرَضَ عَنْهُ أَوْ نَأَى، وَالتَّوَلَّى تَكُونُ انْصِرَافًا، وَقَدْ تَكُونُ إِقْبَالًا، وَالتَّوَلَّى يَكُونُ بِمَعْنَى الْإِعْرَاضِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْإِتِّبَاعِ⁽¹⁾، وَالتَّوَلَّى: مَعْنَاهُ الْانْصِرَافُ إِعْرَاضًا وَإِدْبَارًا⁽²⁾، وَالتَّوَلَّى: فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ: الْانْصِرَافُ، وَالْإِبَاءُ، وَالْإِعْرَاضُ، وَالْهَزِيمَةُ⁽³⁾، وَمَعْنَى ﴿تَوَلَّوْا﴾ فِي الْآيَةِ: الْانْصِرَافُ ذَاهِبِينَ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ انْصِرَافَهُمْ هَذَا كَانَ إِلَى عِيدٍ لَهُمْ⁽⁴⁾.

(3) ﴿مُذِيرِينَ﴾: (دبر) أَصْلُ هُوَ آخِرُ الشَّيْءِ وَخَلْفُهُ خِلَافُ قَبْلِهِ⁽⁵⁾، وَدَابِرُ الْعَيْشِ: آخِرُهُ، وَدَبَرَ بِالشَّيْءِ: ذَهَبَ بِهِ، وَدَبَرَ الرَّجُلُ: وَلَّى، وَأَدْبَرَ: ذَهَبَ، (وَاللَّيْلُ إِذَا دَبَرَ)، أَي: وَلَّى لِيَذْهَبَ، وَالْمُدَايِرُ: الْمَوْلَى الْمُعْرِضُ عَنْ صَاحِبِهِ⁽⁶⁾، وَأَدْبَرَ الشَّخْصُ: مَضَى وَذَهَبَ وَلَّى، عَكْسَ أَقْبَلْ، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ: انْقَضَى⁽⁷⁾، وَتَدَابَرَ الْقَوْمُ: إِذَا وَلَّى بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ⁽⁸⁾، وَمَعْنَى ﴿مُذِيرِينَ﴾ فِي الْآيَةِ: ذَاهِبِينَ مُنْطَلِقِينَ عَنْهَا، وَقَدْ جَعَلُوهَا وَرَاءَ أَدْبَارِهِمْ، أَي: فِي غَيْبَتِهِمْ عَنْهَا⁽⁹⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

أَسْرَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْفِعْلِ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهُمْ هَذَا الْقَوْلَ فِي صُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَجِدْ لِقَوْلِهِ أَذَانًا تَسْمَعُ، أَوْ قُلُوبًا تَعِي، وَأَكَّدَ هَذِهِ النِّيَّةَ، وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ الَّذِي

في التهديد إصرارًا
وشدة عزم على
تحطيم الأصنام
والقضاء عليها

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ولي).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ولي).

(3) ابن الجوزي، نزهة الأعيان التواظر، ص: 215.

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 104 / 15، والبيهقي، معالم التنزيل: 291 / 3، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 4884 / 9.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دبر).

(6) ابن منظور، لسان العرب: (دبر).

(7) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (دبر).

(8) الرأغب، المفردات: (دبر).

(9) الشوكاني، فتح القدير: 488 / 3، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 4884 / 9.

فَطَرَهُمْ وَقَطَرَ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْطِيمِ أَصْنَامِهِمْ، بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفُوا بَعِيدًا عَنْهَا، وَيُولُوهَا أَدْبَارَهُمْ⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغة العطف بالواو في الآية:

عُطِفَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾؛ وهي جملةٌ قسم على جملة ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبٌّ﴾⁽²⁾، والرَّابِطُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُمَا مَقُولُ الْقَوْلِ لإِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي رَدِّهِ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ التَّهْدِيدِ بِإِبْطَالِ الْبَاطِلِ وَبَيْنَ هُدْمِهِ وَمَحْوِ آثَارِهِ، أَي: بَيْنَ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ بِالْقَوْلِ وَالتَّهْدِيدِ بِتَغْيِيرِهِ بِالْيَدِ، وَتَظْهَرُ الْبَلَاغَةُ فِي هَذَا الْعُطْفِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَظَفَ النُّتِيجَةَ - وهي إقامةُ الْبُرْهَانِ عَلَى إِبْطَالِ الْبَاطِلِ بِهَدْمِهِ وَمَحْوِ آثَارِهِ - عَلَى الْمَقْدِّمَةِ وهي إقامةُ الْبُرْهَانِ عَلَى إِثْبَاتِ الْإِلَهِ الْحَقِّ، وَمِنْ بَلَاغَةِ الْعُطْفِ أَنْ تُرْتَّبَ النَّتَائِجُ عَلَى الْمَقْدِّمَاتِ.

بلاغة الْقَسَمِ بِقَوْلِهِ ﴿وَتَاللَّهِ﴾:

جاء النَّصُّ الْقِرْآنِيُّ بِالْقَسَمِ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ تأكيدًا لِعَزْمِهِ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ مِنْ اتِّخَاذِهِمُ الْأَصْنَامَ آلِهَةً، وَذَلِكَ بِالْكَيْدِ لَهَا وَتَحْطِيمِهَا، وَجاء التَّأْكِيدُ هُنَا بِالْقَسَمِ؛ لِأَنَّ مَا سَيَفْعَلُهُ إِبْرَاهِيمُ مِمَّا قَدْ يُنْكَرُ لِشِدَّةِ عُسْرِهِ وَصُعُوبَتِهِ⁽³⁾، وَزَادَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى التَّأْكِيدِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ بِاسْتِخْدَامِ التَّاءِ حَرْفًا لِلْقَسَمِ بَدَلًا مِنْ وَאוِ الْقَسَمِ⁽⁴⁾؛ لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ نَادِرَةً فِي أَدَوَاتِ الْقَسَمِ جُعِلَتْ لِلنَّادِرِ مِنَ الْمَعَانِي، وَالنَّادِرُ مِنَ الْمَعَانِي يُتَعَجَّبُ مِنْهُ⁽⁵⁾، وَكَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ تَعَجَّبَ مِنْ تَسْهِيلِ الْكَيْدِ عَلَى يَدِهِ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ مَقْنُوطٌ مِنْهُ فِي

جَمَعَ بَيْنَ تَغْيِيرِ
إِبْرَاهِيمَ لِلْمُنْكَرِ
بِالْقَوْلِ وَتَغْيِيرِهِ
بِالْيَدِ

تَأْكِيدٌ مِنْ
إِبْرَاهِيمَ لِعَزْمِهِ
عَلَى كَسْرِ
الْأَصْنَامِ وَتَعَجُّبٌ
مِنْهُ عَلَى تَيْسِيرِ
ذَلِكَ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 913، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 97، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 223.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 97.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 437.

(4) الرُّمُحْسَرِيُّ، الكشاف: 3/ 122، والتحرير والتنوير: 17/ 97.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 10/ 170.

نفسه لصعوبته وتعذره، خصوصاً في زمن النمرود مع عتوه وقوة سلطانه واستكباره وتهالكه على نصره دينه؛ فاحتج إلى نوع من الحيل في إخفاء آله الكسر⁽¹⁾.

وفي استعمال التاء دون غيرها زيادة تأكيد؛ لأن قوم إبراهيم ربّما لن يُصدّقوا ما سيقوله؛ لأنهم ظنّوا أنّه من اللّاعين عندما قال لهم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فأقسم إبراهيم ﷺ بأقوى أدوات القسم⁽²⁾؛ لأنّ التاء لا تدخل إلّا على الجلالة المعظمة على الرّاجح⁽³⁾.

وجه إظهار لفظ الجلالة:

أظهر النصّ القرآني اسم الجلالة (الله) في القسم ﴿وَتَاللّهِ﴾ لمناسبته لحرف القسم التاء الذي لا يأتي في الرّاجح إلّا مع الاسم الأعظم، ولتعظيم القسم الذي أقسم عليه سيّدنا إبراهيم ﷺ؛ لأنّ اسم (الله) هو اسم الذات الذي يجمع كلّ صفات الكمال في القدرة والقهر ترهيباً لقومه وتخويفاً لهم.

بلغة التوكيد باللام ونون التوكيد الثقيلة:

أكّد البيان القرآني جواب القسم ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ بلام التوكيد الواقعة في الجواب، وزاده توكيداً بالنون المشدّدة الملازمة للقسم؛ إذ إنّها بمنزلة القسم، وبمنزلة تكرار الفعل، وهي تفيد - كذلك مع التوكيد - الشمول والعموم عندما يكون الكلام لغير الواحد، أي: إنّ إبراهيم ﷺ ماضٍ في وعده لقومه بأنّه سيكيد جميع أصنامهم بعد أن يولّوا مدبرين، وأنّه أراد أن يقطع عليهم أيّ شك أو ظنّ بأنّه

تعظيم إبراهيم
للمقسم به
ترهيب للقوم
وتخويف لهم

مبالغة في إصرار
إبراهيم على
المُقي فيما أراد

(1) الزمخشري، الكشاف: 122/3، والقنوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 540/12، والبقاعي، نظم الدرر: 122/3.

(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 57/17.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 437/12، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 153/22، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 295/4.

يلا عبهم ويمازحهم فيما يقول، أو أنه غير جاد في قوله بأنهم في ضلالٍ مبين.

وتأكيد الفعل هنا واجب؛ لأنه مضارع، جاء في جواب القسم، وجاء مُثَبِّتًا غير منفيٍّ، ومستقبلًا لزمانٍ آتٍ، وغير مفصولٍ عن لأمه بفواصل⁽¹⁾.

إيثار فعل الكيد:

آثر النص القرآني استعمال لفظ الكيد دون غيره في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ فلم يقل: (لَأُحْطِمَنَّ أَصْنَامَكُمْ أَوْ لَأَمْكُرَنَّ بِأَصْنَامِكُمْ)؛ لما يشتمل عليه لفظ الكيد من معالجة الشيء بشدة⁽²⁾، ومن معنى التدبير المحكم الشديد في تنفيذه⁽³⁾، ومن إيقاع المكروه بالغير قهراً سواءً علم أم لا⁽⁴⁾، وهو أقوى من المكر⁽⁵⁾، وهذه المعاني أنسب مع المقام سواءً مع حال إبراهيم عليه السلام الذي عالج أمر الأصنام بتدبيرٍ مُحْكَمٍ شديد، يقصد إبراهيم منه إبطال شركهم، وشرع في تنفيذه بشدة واجتهاد واستعمال الحيلة لانتهاز الفرصة المناسبة، وذلك لوجود صعوبة في زمن النمرود، على عتوه واستكباره، وقوة سلطانه⁽⁶⁾، أم مع حال المشركين، فقد علموا ما قام به إبراهيم بعد ذلك، فضلاً عن أن استعمال لفظ الكيد الذي يتوقف على استعمال الحيل عزّم من إبراهيم عليه السلام على الإرشاد إلى ضلالهم بنوع آخر؛ إذ قصد بذلك أن يحتاطوا في الحفظ فيكون الظفر بالمطلوب أتم في التّبكِيت، وأوضح في إقامة الحجّة عليهم ليعودوا إلى رُشدِهِم⁽⁷⁾.

اجتهاد إبراهيم
في كسر الأصنام
إيذاناً بصعوبة
ذلك

(1) ابن مالك، شرح التسهيل: 3/ 209، وابن هشام، مُغْنِي اللَّيْب، ص: 444، والدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 636.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كيد).

(3) الرّبيديّ، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاق: (كيد).

(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 259 - 260.

(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 259 - 260.

(6) الألوسيّ، روح المعاني: 9/ 58، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 73، والمراغيّ، تفسير المّراغيّ:

46/ 17

(7) الألوسيّ، روح المعاني: 9/ 58.

سرُّ التعبير بالمضارع ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾:

في كيد إبراهيم
للتَّجَدُّدِ والتَّكْرُّرِ
لأَصْنَامِ إصرارٍ
منه بالقضاء
على الشُّركِ

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بالمضارع ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾؛ لِيُفِيدَ الاستقبالَ مِنَ الزَّمَانِ لِفِعْلِ لَمَّا يَمَعُ بَعْدُ، وَيُنْتَظَرُ وَقُوعُهُ فِي الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تَأَكَّدَ بِاللَّامِ وَالنُّونِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لِلْمُسْتَقْبَلِ وَجُوبًا؛ لِأَنَّ الْحَالَ لَا يُؤَكَّدُ بِهِمَا⁽¹⁾، ثُمَّ إِنَّ الْمُضَارِعَ يَعْطِي مَعْنَى التَّجَدُّدِ وَالتَّكْرَارِ، وَهَذَا مَا أَرَادَهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ فَكَيْدُهُ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَتَوَقَّفُ عَنِ الْأَصْنَامِ، بَلْ هُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَا سِيَّما زَمَنَ النُّمُودِ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ، وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِإِصْرَارِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ الْقَضَاءَ عَلَى الشُّرْكِ.

بلغة الاستعارة أو المشاكلة التقديرية في لفظ الكيد:

كيد إبراهيم
لأَصْنَامِهِمْ
دليلٌ عمليٌّ
على بُطْطَانِ
استحقاقِها
للعِبَادَةِ

عبَّرَ النَّصُّ القرآنيُّ عَنِ تَكْسِيرِ الْأَصْنَامِ وَتَحْطِيمِهَا بِالْكِيدِ فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ أَوْ الْمَشَاكِلَةِ التَّقْدِيرِيَّةِ، مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ فِي الْكَلَامِ، وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ الْمَخَاطَبِينَ وَفَهْمِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ، فَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ، وَتَكِيدُ وَتَمَكُرُ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَدَافِعَ عَنْ نَفْسِهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمَسَّهَا بِسَوْءٍ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْكِيدِ⁽²⁾، وَيَزْعُمُونَ كَذَلِكَ أَنَّهَا تَمْلِكُ الشُّعُورَ، أَي: يَقَعُ الضَّرَرُ عَلَيْهَا⁽³⁾، وَبِذَلِكَ يَقِيْمُ إِبْرَاهِيمُ الدَّلِيلَ الْعَمَلِيَّ عَلَى بُطْلَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ: سَأَكِيدُ أَصْنَامَكُمْ، وَسَأُسْتَعْمِلُ مَعَهَا الْحِيلَةَ، فَلَوْ كَانَتْ تَعْقِلُ فَلَتَمْنَعَنِي حِينَ أَكْسَرُهَا، وَلَتَرُدَّ الْفَأْسَ مِنْ يَدِي، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فَلَنْ تَشْعُرَ بِي⁽⁴⁾.

(1) ابن هشام، مُغْنِي اللَّيْبِ، ص: 444.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 153/22، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 97/17، والهريري، حقائق الروح والريحان: 124/18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 97/17، والهريري، حقائق الروح والريحان: 124/18.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9579/15.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُفسَّرَ الكَيْدُ بِأَنَّهُ لِلْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ الْحِيلَةَ لِلْعَاقِلِ،
وَالْأَصْنَامُ لَيْسَتْ مِنَ الْعُقَلَاءِ، لَكِنْ يُقَدَّرُ الْمُضَافُ، أَيُّ لَأَكِيدَنَّ أَصْحَابَ
أَصْنَامِكُمْ وَسَدَنَتَّهَا، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ مَفْعُولٍ، وَالْمَعْنَى: لَأَكِيدَنَّكُمْ فِي
أَصْنَامِكُمْ، أَيُّ: أَفَعَلَنَّ بِهَا مَا يَسُوؤُكُمْ بِضَرْبٍ مِنَ الْحِيلَةِ⁽¹⁾؛ فَيَكُونُ
بِذَلِكَ الْفِعْلِ قَدْ أَنْزَلَ بِهِمُ الْغَمَّ⁽²⁾.

نكتة جَمْعِ الْأَصْنَامِ «أَصْنَمَكُمْ»:

الْتِمَازِيلُ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ كَثِيرَةٌ، وَلَيْسَتْ تِمَثَالًا وَاحِدًا،
وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ اسْتَتْنَى مِنْ تَحْطِيمِهَا الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ
﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 58]،
وَقِيلَ: كَانَتْ الْأَصْنَامُ سَبْعِينَ صَنْمًا مُصْطَفًى، وَمَعَهَا صَنْمٌ عَظِيمٌ،
وَكَانَ هُوَ مُقَابِلَ بَابِ بَيْتِ الْأَصْنَامِ⁽³⁾، وَقَدْ جَاءَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ
بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِكَلِمَةِ الْأَصْنَامِ فِي الْآيَةِ «لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ»
وَلَمْ يَقْتَصِرِ التَّهْدِيدُ عَلَى الصَّنَمِ الْأَكْبَرِ؛ لِيَشْمَلَ بِتَهْدِيدِهِ جَمِيعَ
الْأَصْنَامِ الْمَعْهُودَةِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَالَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ جُذَاذًا؛
لِأَنَّ ضَمِيرَ ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ [الأنبياء: 58] يَعُودُ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَوَعَّدَهَا
إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَفِي هَذَا مِبَالِغَةٌ فِي التَّحْدِي والتَّهْدِيدِ، وَلِلإِشَارَةِ إِلَى
الِاسْتِخْفَافِ بِعُقُولِهِمْ؛ إِذْ يَعْبُدُونَ آلِهَةً كَثِيرَةً وَمُتَعَدِّدَةً، وَلَمْ يَعْبُدُوا
الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ.

توجيه نسبة الأصنام إليهم «أَصْنَمَكُمْ»:

جاءَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ مُخَاطَبًا قَوْمَهُ: ﴿وَتَاللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾ فَنسَبَ الْأَصْنَامَ إِلَى قَوْمِهِ، لِبَيَانِ أَنَّ هَذِهِ
الْأَصْنَامَ مِنْ صُنْعِ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَّهَا مِلْكٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ الْإِضَافَةِ أَلْصَقُ

تهديدُ إبراهيم
بكيد جميع
التمائيل تحقيرُ
لها واستخفافُ
بعقول عابديها

تحقيرُ
واستخفافُ بهم
وتهكُّم وتجهيلُ
لهم

(1) الْبِقَاعِي، نِظْمُ الدُّرَرِ: 437 / 12.

(2) الْفَخْرُ الرَّازِي، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 153 / 22.

(3) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 98 / 17.

بالمضاف إليه، وفي هذا استخفافٌ بهذه الأصنام التي صارت آلهةً تُعبد من دون الله، وتحقيرٌ لها، وفيه تهكُّمٌ وتجهيلٌ لقومه⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالظرف ﴿بَعْدَ﴾ دون الجارِّ (من):

العربُ تُثبِتُ (من) قبلَ (بَعْدَ) وتحذفها وفقَّ ظَرْفِ الزَّمنِ الذي سيقعُ فيه الفعلُ، فإنَّ كان في بعض الزَّمانِ أثبتتْ (من)، وإنَّ كان في الزَّمنِ كلُّه حذفتْها، وهنا حذَفَ النَّصُّ القرآنيُّ (من) في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ وتوجيه ذلك: أنَّه لما كان عزمُه على إيقاع الكيدِ في جميعِ الزَّمانِ الذي يقعُ فيه تولِّيهم في أيِّ جزءٍ تيسَّرَ له مِنْهُ أسقطَ الجارَّ⁽²⁾، أي إنَّ كيدَ إبراهيم ﷺ لأصنامهم لم يكن عند تولِّيهم، وإنما في أيِّ زَمَنٍ من زَمَانِ التَّوَلَّى تيسَّرَ له ذلك.

نكتة التعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَنْ تُولَّوْا﴾:

المصدر المؤوَّل في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ في محلٍّ جرٍّ؛ مضافٌ إليه، والمعنى: (لأكيدنَّ أصنامكم بعد تولِّيكم مُدْبِرِينَ)، وقد أثره النَّصُّ القرآنيُّ؛ تقويةً للمعنى وتأكيذاً على ملازمةِ إيقاعِ الكيدِ في أيِّ جزءٍ من زمنِ تولِّيهم تيسَّرَ له ذلك، وجاء فعل التَّوَلَّى بالمضارع؛ ليكون أنسبَ وأقربَ للمعنى المراد، فأفادَ التَّجَدُّدَ والحدوثَ والاستقبالَ، بخلافِ ما لو عبَّرَ بالمصدر الصَّريح (تَوَلَّيْكُمْ)؛ لاسْتَلْزَمَ ذلك أن يكون الكيدُ بِمَجَرَّدِ تولِّيهم عن مكانِ وجودِ الأصنامِ، ولو لم يَتيسَّرَ له ذلك.

نكتة التعبير باسم الفاعل المجموع ﴿مُدْبِرِينَ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ باسمِ الفاعلِ مجموعاً في قوله: ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ تأكيداً لمعنى التَّوَلَّى وإفادةً استمرارها، أي: إنَّ كيدَه لأصنامهم سيستمرُّ في أيِّ جزءٍ من زمنِ تولِّيَتِهِم تيسَّرَ له، وهذا لا يتحقَّقُ إلا بذهابهم كلُّهم وانصرافهم عن عبادةِ الأصنامِ.

كيدُ إبراهيم
لأصنامهم لم
يكن بمجرَّد
تولِّيهم

تأكيدُ على
ملازمةِ إيقاعِ
الكيدِ في أيِّ جزءٍ
تيسَّرَ من زَمَنِ
تولِّيهم

تأكيدُ معنى
التَّوَلَّى وإفادةً
لاستمرارها

(1) نووي الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن للجيد: 2/ 47.

(2) البقاعي، نظم الدَّرَر: 12/ 437، وابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير: 17/ 97.

وَجَمَعَ اسمَ الفاعلِ مناسبٌ للسياق؛ لأنَّ المخاطبَ قومه، والمرادُ
أنَّ يُولُوا كُلَّهُمْ، من غيرِ أنَّ يَبْقَى أَحَدٌ حتَّى لَا يُفْضَحَ أمرُهُ، فَناسبَ أنَّ
يَأْتِيَ الحالُ بصيغةِ الجمعِ.

❁ الفُروقُ المُجَمَّيَّةُ:

الكيد والمكر والتدبير:

الكيدُ: من المكيدة وهو الاحتيالُ والاجتهادُ فيما يقصدهُ الإنسانُ،
وغلَبَ في المَكْرِ⁽¹⁾، وهو أيضًا: الخبثُ، والمَضَرَّةُ، والتَّدْبِيرُ المحكَّمُ
الشَّدِيدُ وتَفْذِيئُهُ⁽²⁾، وقد يكونُ مَذْمُومًا وممدوحًا، وإنَّ كان يُسْتَعْمَلُ
في المذمومِ أَكْثَرَ⁽³⁾.

والمَكْرُ: الاحتيالُ والخِدَاعُ⁽⁴⁾، وهو تدبيرٌ يُخْفَى وَيُخْتَرَنُ لأحداثٍ أو
أُمُورٍ لتَقَعُ في المستقبلِ على نحوٍ ما⁽⁵⁾، وهو صَرَفُ الْغَيْرِ عما يَقْصِدُهُ
بحيلةٍ مِنَ الحِيلِ، وذلك ضربان: محمودٌ، ومذمومٌ⁽⁶⁾، فالمَكْرُ على هذا
تقديرٌ ضَرَرِ الْغَيْرِ من غيرِ أنَّ يَعْلَمَ به سواءٌ أَكانَ على وجهه أم لا، أي لا
يكونُ إلا في خفاءٍ، وأمَّا الكيدُ فهو اسمٌ لإيقاعِ المكروهِ بالغيرِ قَهْرًا سواءً
علمَ أم لا، والكيدُ أقوى من المَكْرِ، والشَّاهِدُ أنَّ الكيدَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، بينما
المَكْرُ يَتَعَدَّى بحرفٍ، فيقال: كاده يَكِيدُهُ، ومَكَّرَ به، ولا يُقالُ مَكَّرَهُ، والذي
يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ أَقْوَى⁽⁷⁾. والتَّدْبِيرُ: أنَّ يُدَبِّرَ الإنسانُ أمرَهُ، بأنَّ يَنْظُرَ إلى
ما تَصِيرُ عاقِبَتُهُ⁽⁸⁾، والتَّدْبِيرُ: التَّفَكُّرُ فِيهِ، والتَّدْبِيرُ: احتياطٌ واستعدادٌ⁽⁹⁾.
ولما كان معنى الكيدِ إيقاعُ المكروهِ بالغيرِ قَهْرًا، سواءً عَلِمَ أم لا،

ناسب الكيدُ
التَّهْدِيدُ
بإيقاعِ المكروهِ
بأصنامهم لما في
اللفظ من القوَّة

(1) السَّمين الحليّ، عمدة الحقاظ: 441 / 3.

(2) الرُّبَيْدِيُّ، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (كيد).

(3) الزَّاغِب، المفردات: (كيد).

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مكر).

(5) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (مكر).

(6) الزَّاغِب، المفردات: (مكر)، والسَّمين الحليّ، عمدة الحقاظ: 104 / 4.

(7) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 259 - 260.

(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (دبر).

(9) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد مختار عمر، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: (دبر).

ولقوته ناسب سياق تهديد إبراهيم عليه السلام بتحطيم أوثانهم، ولا يُناسب ذلك الفعل لفظاً (المكر) لما يتضمّنه من خفاءٍ، ولا فعل (التدبير) الذي يتضمّن التحوُّط والاستعداد، والنظر في عاقبة الأمر.

التّولي والإدبار والإعراض:

التّولي: الإعراض، والنأي، والتّولية، وتكون انصرافاً، وقد تكون إقبالاً، والتّولي يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنى الاتّباع⁽¹⁾، فالتّولي: معناه الانصراف إعراضاً وإدباراً⁽²⁾، وهو في القرآن على أربعة أوجه: الانصراف، والإباء، والإعراض، والهزيمة⁽³⁾، والإدبار: آخر الشيء⁽⁴⁾، ودبر الرجل: ولّى، وأدبر: ذهب⁽⁵⁾، وأدبر الشخص: مضى وذهب، وأدبر النهار: انقضى، وتدابّر القوم: إذا ولّى بعضهم عن بعض⁽⁶⁾، والإعراض: التّولية مبدئياً عرضه⁽⁷⁾، وأعرض عن فلان كأنه انحرف عنه وولاه عرضه أي جانبه أو عارضه⁽⁸⁾، وأعرض عن صديقه: أدار ظهره له غير مكترث أو مهتمّ به، وصدّ عنه، وتجاهله، وجفاه⁽⁹⁾، فالألفاظ الثلاثة تشترك بمعنى الانصراف والتّرك والتّباع.

ويتميّز التّولي بأنّه أعمّ من الإدبار والإعراض، فهو الإعراض والإدبار مطلقاً، أي البعد عن الشيء دون تحديد جهة معيّنة، أمّا الإدبار فهو الانصراف عن الشيء وتركه في جهة وراء، أي دبره وخلفه، ولهذا اصطفيا في سياق الآية معاً ليدلّا على الانصراف تاركين أصنامهم وراء ظهورهم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ولي).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (ولي).

(3) ابن الجوزي، نزّهة الأعين التّواظر، ص: 215.

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبر).

(5) ابن منظور، لسان العرب: (دبر).

(6) الرّاعب، المفردات: (دبر)، وأحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (دبر).

(7) السّمين الحلبي، عمدة الحقاظ: 3/ 55.

(8) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (عرض).

(9) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (عرض).

التّولي يكون
إعراضاً ويكون
إقبالاً ولا يدلّ
على جهة،
والإدبار هو
الانصراف عن
الشيء

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 33، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-75-4

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 33: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-75-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»